الالتفات في القرآن الكريم
"نماذج من آيات العلم والجهل"

Shifting (*Iltifāt*) in the Holy Quran:
"Examples from Verses Concerning Knowledge and Ignorance"

10.35781/1637-000-189-001

د. سمية طه علي عبد الله الجعفري*

*أستاذ البلاغة والنقد المساعد

عضو هيئة التدريس بجامعة الأندلس

الملخص:

أولى علماء البلاغة أسلوب الالتفات في القرآن الكريم عناية كبيرة، وعدوه من محاسن الكلام ووجوه إعجازه؛ لما يحققه من تنوع في الأسلوب وتنشيط للذهن، ولفت لانتباه المتلقي، فضلًا عما يحمله الانتقال من دلالة تتصل بالسياق والمقام والغرض الذي سيقت الآية من أجله. وإذا كان الالتفات معروفًا في كلام العرب شعرهم ونثرهم، فإن وروده في القرآن الكريم يأتي في أعلى درجات الإحكام والملاءمة بين التحول الأسلوبي والمعنى المراد، بحيث يصبح الالتفات جزءًا من البنية الدلالية للآية، لا مجرد تنويع لفظي في صياغة الكلام.

والمتأمل للخطاب القرآني يجد أن العلم احتل فيه منزلة رفيعة، ارتبط في معظم سياقاته بالهداية والبصيرة والإيمان والخشية، في حين وردت سياقات الجهل في مواضع قليلة ومحدودة وجاءت متعلقة بالغفلة والضلال واتباع الهوى وسوء العمل. وجاء الالتفات في الموضعين متنوعًا، وأضفى للمعنى أبعادًا دلالية وبلاغية تستحق الدراسة والتحليل.

وقد هدف هذا البحث إلى الكشف عن الصور البلاغية والدلالية للالتفات في الآيات التي وردت فيها لفظتي العلم أو الجهل أو اشتقاقاتهما، وبيان مدى ارتباط التحول من صيغة إلى أخرى بالسياق القرآني، وما يترتب عليه من توجيه للمعنى، وإثارة لانتباه المتلقي، وتقوية للأثر النفسي والدلالي للآية. واقتضت طبيعة الموضوع أن يقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك بتتبع مواضع الآيات المشتملة على أسلوب الالتفات في مواضع العلم والجهل وتحليلها والوقوف على الأثر والمعنى.

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج، أبرزها: أن الالتفات في الضمائر كان من أكثر أنواع الالتفات وروداً، تلاه في الأفعال ثم الأعداد.

الكلمات المفتاحية: الالتفات، العلم، الجهل، البلاغة.

ISSN : 2410-1818

Shifting (*Iltifāt*) in the Holy Quran: "Examples from Verses Concerning Knowledge and Ignorance"

Dr. Sumaya Taha Ali Abdullah Al-Ja'fari*

*Assistant Professor of Rhetoric and Criticism
Faculty Member at Al-Andalus University

Abstract

Scholars of rhetoric have accorded great importance to the stylistic device of *iltifāt* (rhetorical shift) in the Holy Quran, regarding it as a mark of linguistic excellence and an aspect of the Quran's miraculous nature. This is due to the stylistic variety it affords, its ability to engage the mind and capture the listener's attention, and the significance of the shift itself—which is deeply connected to the context, the situation, and the purpose for which the verse was revealed. While *iltifāt* was a known feature of Arabic speech—both poetry and prose—its occurrence in the Holy Quran is distinguished by the highest degree of precision and harmony between the stylistic shift and the intended meaning; thus, the shift becomes an integral part of the verse's semantic structure rather than merely a verbal variation in phrasing.

A contemplation of Quranic discourse reveals that knowledge holds a lofty status, consistently linked to guidance, insight, faith, and reverence; conversely, references to ignorance appear in only a few, limited instances, associated with heedlessness, error, the pursuit of base desires, and wrongful conduct. The rhetorical shifts (*iltifāt*) employed in these contexts are varied, lending the meaning semantic and rhetorical dimensions that merit study and analysis.

This research aimed to explore the rhetorical and semantic dimensions of *iltifāt* (stylistic shift) in Quranic verses containing the terms "knowledge" (*al-ʿilm*) or "ignorance" (*al-jahl*)—or their derivatives—and to examine how shifting between forms relates to the Quranic context. It also sought to analyze the resulting effects: directing meaning, engaging the recipient's attention, and intensifying the verse's psychological and semantic impact. Given the nature of the subject, the study adopted a descriptive-analytical approach, tracing and analyzing verses that employ *iltifāt* in the context of knowledge and ignorance to elucidate their underlying meanings and effects.

The research yielded several findings, most notably that the shift in pronouns was the most frequent type of *iltifāt*, followed by shifts in verbs and numbers.

Keywords: *Iltifāt* (stylistic shift), knowledge, ignorance, rhetoric.

ISSN : 2410-1818

المقدمة:

يعد الالتفات من أبرز الأساليب البلاغية التي تميز بها النص القرآني، وهو أسلوب تعبيري ينقل السامع من نمط إلى آخر؛ كسرًا للرتابة وإيقاظًا للذهن وتنويعًا للخطاب، إضافة إلى إبراز معان خفية ومقاصد بلاغية يقضيها سياق كل آية.

وقد جاء في موروثنا البلاغي والنقدي طائفة من المصطلحات التي تواردت مع مصطلح الالتفات في الدلالة على ظاهرة (التحول الأسلوبي)، ومن بين هذه المصطلحات: الصرف، العدول، الانصراف، التلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وغير ذلك. فالمادة اللغوية والمعجمية للالتفات تدور في عمومها حول محور دلالي واحد، وهو: التحول أو الانحراف عن المألوف من القيم أو الأوضاع أو أنماط السلوك.[1]

وعرفه القرطاجني بقوله: "اعلم أن الانعطاف بالكلام من جهة إلى أخرى أو غرض إلى آخر لا يخلو من أن يكون مقصودا أولا، فيذكر الغرض الأول لأن يستدرج منه إلى الثاني وتجعل مآخذ الكلام في الغرض الأول صالحة مهيأة لأن يقع بعدها الغرض الثاني موقعا لطيفا، وينتقل من أحدهما إلى الآخر انتقالا مستطرفا، لذكر الغرض الثاني ولا توطئة للصيرورة إليه والاستدراج إلى ذكره، بل لا ينوي الغرض الثاني في أول الكلام، وإنما يسنح للخاطر سنوحا بديهيا ويلاحظه الفكر المتصرف بالتفاتاته إلى كل جهة ومنحى من أنحاء الكلام"[2].

وقد حاز تعريف القرطاجني على الانفراد الواضح في التعريف وعدم الاعتماد على سابقه وفيه من التحليل الجيد لهذا الأسلوب، ما لم يوجد عند غيره ثم مجيئه بمصطلح (الصورة الالتفاتية) وهو مصطلح جديد أيضاً يعني الكثير؛ لأن الصورة تعطي أكثر من اللفظ العام.[3]

وعرفه العلوي بأنه: "العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"[4]. وسُمي بذلك أخذًا له من التفات الإنسان يمينًا وشمالاً؛ وهو كناية عن انتقال الكلام من صيغة إلى أخرى، من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب.

ويظهر الالتفات -في الكلام- كخاصية تعبيرية، تتميز بطاقتها الإيحائية من حيث كان بناؤه يعتمد على العدول.[5]

---

[1]) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: د. حسن طبل، ص11.

[2]) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، ص315.

[3]) الالتفات في القرآن الكريم: صدام حسين علوان الدليمي، ص16- 17.

[4]) الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز): يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، ج2، ص132.

[5]) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، ص267.

ISSN : 2410-1818

ويأتي الالتفات في الضمائر والأفعال والأعداد والشكل الآتي يوضح الالتفات ومواضعه:

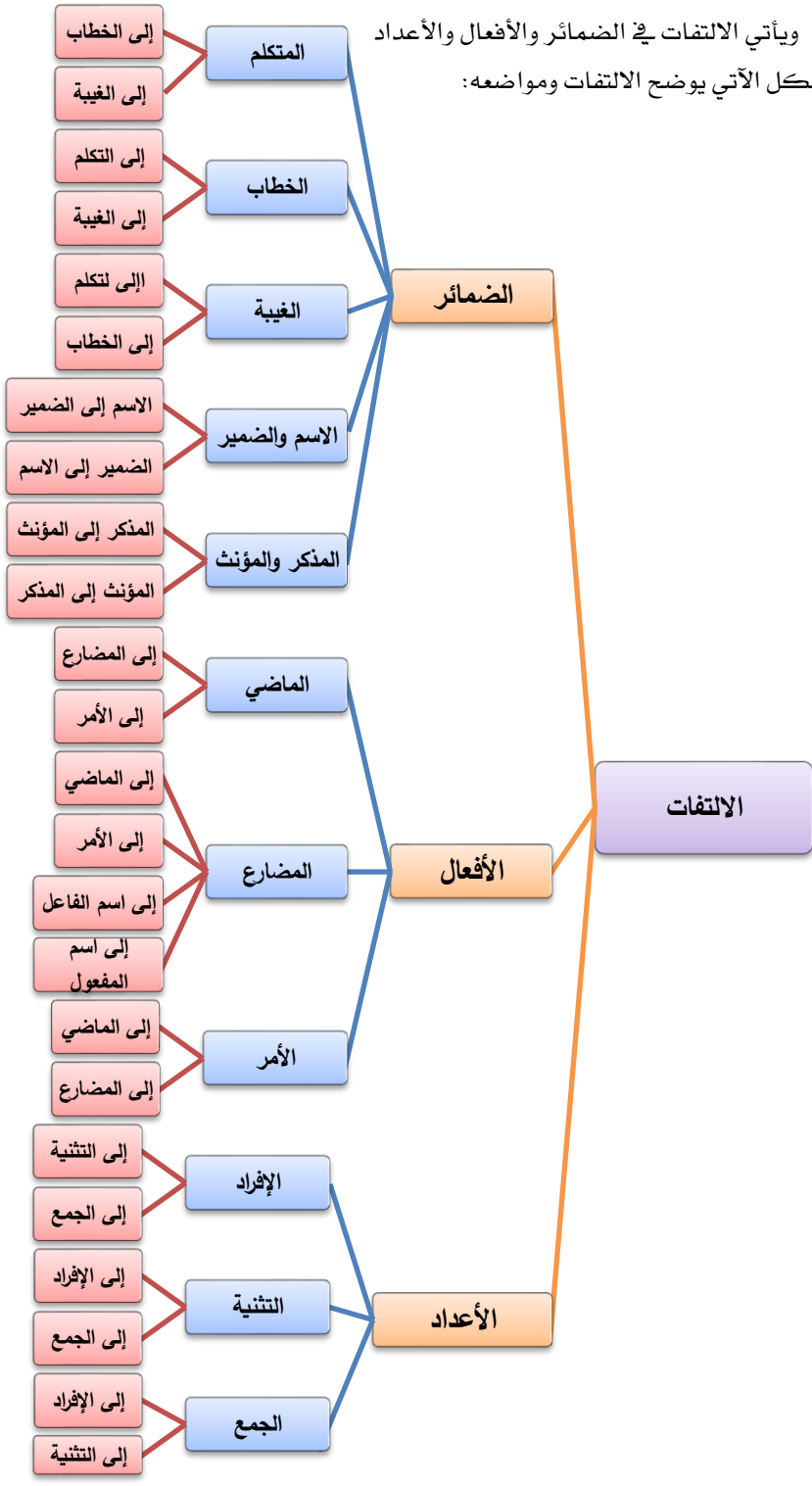

ISSN : 2410-1818

ويُعدّ الالتفات من أكثر الظواهر البلاغية ترددًا وأوسعها انتشارًا في القرآن الكريم، حيث "بلغ عدد مواضع الالتفات في القرآن الكريم ما يقرب من (500) موضع، وكان الالتفات في الضمائر أكثرها وروداً، تلاه في الأفعال ثم الأعداد. وجاء الانتقال (من التكلم إلى الغيبة) أكثر أنواع التفات الضمائر وقوعاً في القرآن الكريم، في حين كان الانتقال (من المضارع إلى اسم الفاعل أو المفعول) أقلها وروداً إذ وقع كلٌّ منهما في موضع واحد[1].

ففي الصيغ نجد أن الالتفات يتحقق في هذا المجال كلما تخالفت صيغتان (في نسق واحد) من مادة معجمية واحدة، ومن ذلك: المخالفة بين صيغ الأفعال (الماضي والمضارع والأمر)، أو بين صيغ الأسماء، أو بين صيغة من صيغ الاسم وأخرى من صيغ الفعل، أو ما إلى ذلك مما لا يتمثل في اللغة الفنية عامة، وفي لغة القرآن الكريم خاصة إلا لمرامي وأسرار بيانية يفتقدها السياق لو لم تكن تلك المخالفة.[2]

يقول صاحب المثل السائر في دقة هذا اللون من ألوان الالتفات: "واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيانِ أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارهما، وفتش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام فإنه من أشكل ضروب علم البيانِ، وأدقها فهمًا، وأغمضها طريقًا".[3]

وقد لمست الباحثة بروز هذا الفن البديعي في بعض آيات العلم والجهل، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[4].

نجد في هذه الآية التفاتين بين صيغتي الفعل: أولهما (نَبَّأَ- أَنبَأَ)، والثاني (أَنبَأَ- نَبَّأَ)، أي: أن صيغة (أَنبَأَ) تؤدي وظيفة الملتفت إليه في الأول، والملتفت عنه في الثاني، والفرق بين (نَبَّأَ وأَنبَأَ) جاءت في الصيغة، فصيغة (نَبَّأَ) على وزن فعّل (بالتشديد) وهي تتميز دون صيغة أفعل؛ وذلك بإفادتها معنى المبالغة والتأكيد. ويدل على ذلك قوله: (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)، ولم يقل: أنبأني؛ لأن (نَبَّأَ) أبلغ في التنبيه على تحققه وبيان أنه من قِبل الله.

---

[1]) ينظر: الالتفات في القرآن الكريم، صدام حسين علوان الدليمي، ص294.

[2]) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص56.

[3]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، ج2، ص12.

[4]) التحريم، 3.

ISSN : 2410-1818

ونجد أن المفعول الثاني المذكور بعد الصيغة الأولى في الالتفات الأخير (أَنبَأَكَ هَذَا) قد حُذف من الصيغة الثانية (نَبَّأَنِيَ)، وفي هذا الحذف ما يدعم دلالة العدول عن الأولى إلى الثانية؛ إذ هو يدل على أن ما (نَبَّأَه) به المولى تبارك وتعالى في هذا الموقف تتسع دائرته وتتجاوز (هَذَا) الذي سألته زوجه عمن (أَنبَأَه) به.[1]

وفي قوله: (نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)؛ وصفه بكونه خبيرًا بعدما وصفه بكونه عليماً لما في وصف الخبير من المبالغة ما ليس في العليم؛ أي: أخبرني العليم الذي لا تخفى عليه خافية، الخبير المطلع بأحوال عباده وما هم عليه، وفي ذلك إشارة موحية بانكشاف أعمال العباد جميعها أما خالقهم، لأن الخالق خبير بما خلق، فلا يغيب عنه شيء من حالهم.

ومما جاء بين صيغتي الاسم قوله تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[2].

ففي قوله: (لَهِيَ الْحَيَوَانُ)، بيان بأن الدار الآخرة هي دار الحياة الحقيقية؛ لأزليتها، فلا موت أو فناء فيها، فهي في ذاتها حياة، للمبالغة، "والحيوان مصدر (حي) سمى به ذو الحياة، وأصله حييان، فقلبت الياء الثانية واوا؛ لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان، ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضى للمبالغة"[3].

ففي التحول إلى صيغة (الْحَيَوَانُ) مع الدار الآخرة مبالغة في تحقيق معنى الحياة لتلك الدار، والإشعار بأنها هي الجديرة بأن تسمى حياة، وقد حفلت الآية الكريمة بما يدعم هذا التحول، ويعمق دلالته على سمو الحياة الأخروية بالقياس إلى الحياة الأولى. فبينما بولغ في إثبات معاني اللهو واللعب للحياة الأولى بأسلوب القصر (ما- إلا)، وبولغ في المقابل في إثبات معنى الحياة للدار الآخرة بـ إن، واللام، وتعريف طرفي جملة الخبر (لَهِيَ الْحَيَوَانُ). وبينما وردت صيغة الحياة مقيدة بالوصف (الدُّنْيَا)، وردت صيغة الحيوان مطلقة بلا وصف؛ وذلك للإشعار بأن الحياة الأخروية في تساميها أبعد من أن يحيط بها وصف. وقد وقعت صيغة (الْحَيَاةُ) مبتدأ أخبر عنه بـ (لَهْوٌ وَلَعِبٌ)، ووقعت صيغة الحيوان في جملة الإخبار عن الدار الآخرة، فكأن هذه الدار ليست مجرد وعاء أو مسرح للحياة الأخروية، بل إنها ذاتها الحياة.[4]

---

[1]) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص63- 64.

[2]) العنكبوت، 64.

[3]) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي، ج7، ص47.

[4]) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص72.

ISSN : 2410-1818

- **الالتفات في الضمائر:**

لا ينحصر الالتفات في مجال الضمائر فقط، بل يشمل التحول عن الإضمار إلى الإظهار، والتحول عن تأنيث الضمير إلى تذكيره، أو عن تذكيره إلى تأنيثه، فهو يتحقق في صور المخالفة التعبيرية الآتية: (بين الغيبة والخطاب، بين الغيبة والتكلم، بين التكلم والخطاب، بين الإضمار والإظهار، بين تذكير الضمير وتأنيثه).

- **الالتفات بين الغيبة والخطاب:**

من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[1].

ففي قوله سبحانه: (إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ) التفات من الخطاب (كُنتَ) إلى الغيبة (الرَّسُولَ)، وجاء - عليه الصلاة والسلام- بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الإتباع. وفي ذلك بيان لمشقة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وما ذلك إلا تمحيص واختبار يُعلم به الثابت على إيمانه من غيره.

وقوله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[2].

خاطب سبحانه البشرية ومنهم المؤمنون بقوله: (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)، ثم عدل مباشرة من الخطاب إلى الغيبة بقوله: (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ)؛ "وسر الالتفاف التنبيه على الإعراض عن المكذب بالقيامة، والإقبال على المصدق، صوناً لنفيس الكلام، عن الجفاة الأغبياء اللئام"[3].

وأدخل (قَدْ) ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق، ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد؛ وذلك أن (قَدْ) إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى (ربما)، فوافقت (ربما) في خروجها إلى معنى التكثير؛ والمعنى: أنّ جميع ما في السماوات والأرض مختصّة به خلقاً وملكاً وعلماً، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها، وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم. والخطاب والغيبة في قوله: (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) يجوز أن يكونا جميعًا المنافقين على طريق الالتفات. ويجوز أن يكون (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)

[1]) البقرة، 143.

[2]) النور، 64.

[3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ج5، ص290.

ISSN : 2410-1818

عاماً، و(يَرْجِعُونَ) للمنافقين[1]. وذكر الشوكاني في قوله تعالى: (فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا)؛ أن الظاهر من السياق الوعيد للمنافقين.[2]

ومفهوم كلامه أن الالتفات حصل إذا كان المقصود واحداً وهم المنافقون، أي: (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ) أيها المنافقون، ثم التفت عنهم إلى الغيبة فقال: (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ)، وهم المنافقون أيضاً.

وجاء أيضًا التفات في قوله تعالى: (يُرْجَعُون... فَيُنَبِّئُهُمْ) بلفظ الغيبة، بعد أن كان بلفظ الخطاب في قوله: (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)، ولم يشر المفسرون إلى الغاية من هذا الالتفات، بل اكتفوا بعرض صُورِه، وهل كان الأمر خاصاً بالمنافقين أو عاماً لجميع الناس.

ومن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى: ﴿**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[3].

وذلك بعد أن قال سبحانه: ﴿**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[4]؛ وهو من تتمة الوعيد حينما يخاطب به الكفرة فكان الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أدل وأبلغ على مقصود التعبير القرآني.

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[5].

جاء الالتفات من ضمير الغيبة في قوله: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ)، إلى الخطاب للمؤمنين في قوله: (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)؛ إقبالًا عليهم للاهتمام، وبيان أن الذكر يحيي القلوب الغافلة كما يحيي الغيث الأرض بعد موتها.

وقال سبحانه: ﴿**لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ**﴾[6].

---

[1]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ج3، ص226.

[2]) فتح القدير، 4/ 79.

[3]) الملك،13.

[4]) الملك، 6.

[5]) الحديد، 16- 17.

[6]) الروم، 34- 35.

ISSN : 2410-1818

جاء الالتفات في قوله: (عَلَيْهِمْ) بلفظ الغيبة بعد أن كان للخطاب في قوله: (فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)، والغاية من هذا الالتفات الإعراض عنهم لسوء ما فعلوه. فكان الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إيذانًا بهذا الإعراض، وتعديدًا لجناياتهم لغيرهم بطريق المباثة[1].

ومن الالتفات الإخبار بالغيبة إلى الحكاية والخطاب، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[2]، إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[3].

حيث تحول السياق من السرد القصصي بصيغة الغيبة عن قصة يوسف: (وَقَالَ نِسْوَةٌ)، إلى الخطاب الدعائي المباشر من يوسف -عليه السلام- لربه: (وَإِلاَّ تَصْرِفْ، وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)؛ وفي الالتفات بيان لضرورة اللجوء الصادق لله والتضرع له في لحظات الشدة، والاعتراف بأن منازعة الهوى دون عصمة الله تجعل العبد مسلوب الحكمة أعمى البصيرة.

ومما جاء الالتفات فيه من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4].

الآية خطاب للرسول ﷺ؛ وذلك في: (أَتَيْتَ)، و(قِبْلَتَكَ)، و(مَا أَنتَ)، و(لَئِنِ اتَّبَعْتَ)، ....الخ، ثم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في الآية الثانية في قوله: (يَعْرِفُونَهُ)، والضمير عائد للرسول ﷺ.

وهو للإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له ﷺ من حيث ذاته ونسبه، بل من حيث كونه مذكورًا ومعروفًا عندهم -أهل الكتاب- في الكتاب، وأنه ﷺ موصوفًا بأوصاف عدة، ومن ضمنها أنه يصلي إلى القبلتين، أي: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه من وصفنا له في كتبهم.

وفي قوله: (لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)؛ تخصيص لبعض أهل الكتاب بكتمانهم الحقيقة في أمر القبلة، وعلمهم بحقيقة الأمر من كتبهم؛ وما عملهم هذا إلا تماديًا منهم وكفرًا وعنادًا وجحودًا بآيات الله.

---

[1]) المباثة: من البث؛ وهي إظهار الحديث ونشره. ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، ج21، ص42.

[2]) يوسف، 30.

[3]) يوسف، 33.

[4]) البقرة، 145- 146.

ISSN : 2410-1818

ومما تكرر فيه الالتفات بين الغيبة والخطاب قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيماً﴾[1].

بدأت الآية الكريمة بخطاب النبي ﷺ (أَحْلَلْنَا لَكَ)، ثم عدل عن ذلك إلى الإخبار عنه بطريق الغيبة (إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ)، ثم عاد مرة أخرى إلى الخطاب (خَالِصَةً لَّكَ).

وفي هذا الالتفات تخصيص وإيثار للنبي ﷺ، وفي تكريره تقرير وتأكيد على كرامته. يقول الزمخشري: "فإن قلت: لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: (نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ)، ثم رجع إلى الخطاب؟ قلت: للإيذان بأنه مما خصّ به وأوثر، ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوّة، وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوّته"[2].

وجملة: (قَدْ عَلِمْنَا)؛ اعتراضية، بينت ما فرضه الله على المؤمنين من أحكام للنكاح؛ ووضحت الفرق في هذه الأحكام بين النبي ﷺ والمؤمنين؛ فالله عالم بما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء، وعالم بما فيه المصلحة في تخصيص الرسول بما اختصه به .

وجاء الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.[3]

حيث انتقل سبحانه من الحديث عن الكفار وخصومتهم بصيغة الغيبة (شاء- جمعهم) في قوله: (وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى)، إلى الخطاب المباشر للنبي ﷺ بصيغة النهي: (فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ). وفي ذلك تثبيت للنبي ﷺ، وتنبيه وبيان بأن هذه الأحوال من سنن الله في خلقه، فلا يحزن على إعراضهم وعنادهم.

- **الالتفات بين التكلم والغيبة:**

ومن الالتفات بين المتكلم والغيبة ما جاء في قوله تعالى: ﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

---

[1]) الأحزاب، 50.

[2]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ج3، ص559.

[3]) الأنعام، 35.

[4]) الدخان، 1- 6.

ISSN : 2410-1818

جاء الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى: (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) بصيغة الغيبة، أو بإظهار اسم الرب مضافاً إلى ضميره ﷺ، بعد أنْ كان بلفظ التكلم أو الضمير في قوله: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ.. إِنَّا كُنَّا.. عِنْدِنَا..)، وكان السياق أن يقال: (رحمة منا)، والغرض من هذا الالتفات هو تخصيص النبي ﷺ بالذكر دون سواه من المؤمنين، والإيذان بأنَّ الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين.

وهو ما أوضحه ابن الأثير بقوله: "والفائدة هاهنا في الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الواحد؛ تخصيص النبي ﷺ بالذكر، والإشارة بأن إنزال الكتاب إنما هو إليه، وإن لم يكن ذلك صريحاً، لكن مفهوم الكلام يدل عليه"[1].

وتجلت رحمة الله بالبشر في إنزاله القرآن الكريم، حيث بين لهم فيه كل ما هم بحاجة إليه من أمور دينهم، وعقيدتهم، ومعاملاتهم، وغيرها، وجعله صالحاً لكل زمان ومكان، متجددًا بتجدد الحاجات والمقاصد، لعلمه بحاجاتهم ومرادهم، فأنزله على علم ومعرفة بما يكون سببًا في صلاح حالهم وأحوالهم، وما يكون عونًا لهم وموجهًا صحيحًا سليمًا نافعًا لهم في دنياهم وآخرتهم.

ومما جاء بين الغيبة والتكلم قوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2].

جاء الالتفات من الغيبة في قوله: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً)، إلى التكلم في قوله: (مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا)؛ لما فيه من التفخيم للمنزَّل والمنزل عليه، ولو قال مما نزل على عبده، بضمير الغائب لما أدى هذا المعنى؛ فـ (نا) دلت على التعظيم للنبي ﷺ، وبينت عِظم الأمر أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا**﴾[3].

وفي قوله: (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)؛ جاء النهي دالًّا على الأمر بعبادة الله وحده، وهذه الدلائل التي ذكرت في بداية السياق للآية دليل يوجب ذلك، فمن جعل كل ذلك هو المختص والمستحق للعبادة. وقوله: (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)؛ أريد به العلم والعقل الراجح المقابل للجهل، فأثبت لهم سبحانه العلم ورجاحة العقل ليلفتهم إلى دلائل وحدانيته حتى يتفكروا ويتدبروا فيها ويتركوا ما أشركوا معه.

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[4].

---

[1]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، ج2، ص174.

[2]) البقرة، 22- 23.

[3]) الأنعام، 99.

[4]) الحج، 52.

ISSN : 2410-1818

جاء الالتفات في قوله تعالى: (فَيَنْسَخُ اللَّهُ) بصيغة الغيبة أو الاسم الظاهر، بعد أنْ كان بلفظ التكلم في قوله: (أَرْسَلْنَا)، وقد أفاد هذا الموضع زيادة التقرير والتأكيد على أنَّ الألوهية من موجبات إحكام آياته الباهرة. وفي "إظهار الجلالة في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيذان بأن الألوهية من موجبات أحكام آياته الباهرة"[1].

وفي قوله: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)؛ بيان لسعة علم الله واطلاعه على ما كان وما سيكون، لا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وتدبيره وأمره، يعلم كيد الشيطان ووساوسه على أنبيائه ورسله وجميع الناس، ليصدهم عن الإيمان واتباع الحق، فيبطلها -سبحانه- بحكمته وتدبيره، فيزيل وساوسه ويثبت آياته.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2].

ففي قوله تعالى: (فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ) التفات بإظهار اسم الجلالة، وهو بصيغة الغيبة، بعد أن كان بصيغة التكلم في قوله: (فَتَنَّا)، وذكر في فائدة هذا الالتفات أنه لإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين. "والالتفات إلى الاسم الجليل لإدخال الروعة وتربية المهابة. وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير، أي: فوالله ليتعلَّقن علمه بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان الذي أظهروه، والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب. ويترتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب. ولذلك قيل: المعنى ليُميزنَّ أو ليُجازينَّ"[3].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[4].

جاء الالتفات من الغيبة إلى التكلم في قوله: (ثُمَّ اسْتَوَى)، (فَقَضَاهُنَّ)، إلى: (وَزَيَّنَّا)، تأكيدًا على قدرة الله سبحانه، وعظيم صنعه.

فإنه قال: (وَزَيَّنَّا) بعد قوله: (ثُمَّ اسْتَوَى)، وقوله: (فَقَضَاهُنَّ)، وقوله: (وَأَوْحَى)؛ والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا، وأنها ليست حفظاً ولا

---

[1]) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي، ج6، ص113.
وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، ج17، ص173.

[2]) العنكبوت، 3.

[3]) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي، ج7، ص30.
وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، ج20، ص135.

[4]) فصلت، 11- 12.

ISSN : 2410-1818

رجوماً، فلما صار الكلام إلى ههنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس؛ لأنه مهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه.[1]

وجاء في البرهان أنه: "عدل عن الغيبة في(قَضَاهُنَّ)، و(وَأَوْحَى) إلى التكلم في قوله: (وَزَيَّنَّا)، فقيل: للاهتمام بذلك والإخبار عن نفسه بأنه جعل الكواكب زينة السماء الدنيا وحفظا تكذيبا لمن أنكر ذلك. وقيل: لما كانت الأفعال المذكورة في هذه الآية نوعين:

أحدهما: وجه الإخبار عنه بوقوعه في الأيام المذكورة وهو خلق الأرض في يومين وجعل الرواسي من فوقها وإلقاء البركة فيها، وتقدير الأقوات في تمام أربعة أيام ثم الإخبار بأنه استوى إلى السماء وأنه أتمها وأكملها سبعا في يومين، فأتى في هذا النوع بضمير الغائب عطفا على أول الكلام في قوله: ﴿**قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ**﴾[2]، إلى قوله: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) الآية.

والثاني: قصد به الإخبار مطلقا من غير قصد مدة خلقه وهو تزيين سماء الدنيا بمصابيح وجعلها حفظا، فإنه لم يقصد بيان مدة ذلك، بخلاف ما قبله فإن نوع الأول يتضمن إيجادًا لهذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة اليسيرة وذلك من أعظم آثار قدرته. وأما تزيين السماء الدنيا بالمصابيح فليس المقصود به الإخبار عن مدة خلق النجوم فالتفت من الغيبة إلى التكلم فقال: (زَيَّنَّا)"[3].

وقوله: (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)؛ تأكيد ودلالة على قدرة الله ووحدانيته، والعزة تقتضي العلم، فهو العزيز الغالب لكل شيء، والعليم بما خلق وقدر، حكمته عظيمة، وصنعه متقن، يعلم مصالح خلقه، ويدبر شؤونهم، وفي هذين الاسمين وصف للكمال والجلال والعظمة والحكمة البالغة.

- **تذكير الضمير وتأنيثه:**

ومما جاء بين تذكير الضمير وتأنيثه قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[4].

حيث أوثر تذكير الضمير العائد على النعمة في: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ)، ثم عدل عن ذلك إلى تأنيثه في: (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ). وقد ذكر المفسرون في توجيه ذلك أن تذكير الضمير أولًا هو حمل على معنى النعمة؛

---

[1]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، ج2، ص6.

[2]) فصلت، 9- 10.

[3]) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، 3/ 321.

[4]) الزمر، 39.

ISSN : 2410-1818

لأن المراد شيء من النعم، أما تأنيثه بعد ذلك فهو حمل على لفظ النعمة؛ ولأن الخبر لما كان مؤنثًا (فِتْنَةٌ) ساغ تأنيث المبتدأ لأجله.[1]

فقوله: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ) أي: على علم مني بوجوه كسبه، أو أبى فأعطاه لما لي من الاستحقاق، أو على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي، والهاء لما إن جعلت موصولة وإلا فلنعمة، والتذكير لما أن المراد شيء من نعمة، (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ)، أي: محنة وابتلاء له . وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير.[2]

وقال تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾[3].

الفاء للتفريع على معنى البراءة، لأنّها لمّا أمر الله بالإيذان بها كانت إعلاماً للمشركين، الذين هم المقصود من نقض العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، فضمير الخطاب في فعل الأمر معلوم منه أنّهم الموجه إليهم الكلام وذلك التفات. فالتقدير: فليسيحوا في الأرض. ونكتة هذا الالتفات إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة. ويجوز تقدير قول محذوف مفرّع على البراءة من عهودهم، أي فقل لهم: سيحوا في الأرض أربعة أشهر.[4]

وفي قوله: (وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ)؛ ابتدأ الجملة بالعلم؛ لزيادة الاهتمام بما يتقدم من أحكام، فبينت أن قدرة الله غالبة، لا يفوته شيء، وما إمهاله لكم إلا لحكمة أرادها سبحانه.

ومن الالتفات في التعبير عن فعل الجاهلية قوله سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[5].

فقد انتقل -سبحانه- بالخطاب من ضمير الجمع المؤنث: (قَرْنَ، بُيُوتِكُنَّ، وَأَقِمْنَ، وَآتِينَ، أَطِعْنَ)، إلى ضمير الجمع المذكر العام (عَنكُم، يُطَهِّرَكُمْ)، وفي الأمر تنبيه بالابتعاد عن أفعال الجاهلية لجميع المؤمنات وإن وُجه الخطاب لنساء النبي ﷺ، فالغاية التطهير، وفي الأمر عموم.

---

[1]) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص128.

[2]) ينظر: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي، ج7، ص258-259.

[3]) التوبة، 2.

[4]) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج10، ص105.

[5]) الأحزاب، 33.

ISSN : 2410-1818

- **الالتفات في الأفعال:**

ومن الالتفات في الأفعال ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ..**﴾[1].

فموضع الالتفات هو في قوله: (تَتْلُوا) بصيغة المضارع، وكان السياق أن يكون بلفظ الماضي أي (تلت) باعتبار أن المعنى للماضي، والفائدة من ذلك التوبيخ من الله تعالى لأحبار اليهود، وبيان أنهم يتبعون آباءهم وأسلافهم في كل شيء، بغض النظر عن صوابه أو خطئه.

يقول الطبري: "والصواب من القول في تأويل قوله: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ)، أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجحدوا نبوته، وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل، وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به، وهو في أيديهم يعلمونه"[2]. ويلحظ هنا أنه وإن كان مضارعاً لفظاً فهو ماضٍ معنًى، فالمضارع هنا بمعنى الماضي، فـ (تَتْلُوا) هنا بمعنى (تلت)؛ لدلالة السياق على ذلك.

وكان الشياطين (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)؛ لإغوائهم وتظليلهم، "(وَاتَّبَعُوا) ما تقرأ (الشَّيَاطِينُ) على الناس من السحر (عَلَى) عهد (مُلْكِ سُلَيْمَانَ)؛ وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب، ويلقونها إلى الكهنة، وهم يدونونها ويعلمونها الناس، وفَشَا ذلك في عهد سليمان حتى قيل: إن الجن يعلم الغيب، وإن ملك سليمان إنما قام بهذا، وأنه به سخر الجن والإنس والريح، فجمع سليمان ما دُوِّن منه ودفنه، فاستخرجته الشياطين بعد موته، فردّ الله تعالى قولهم بقوله: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) باستعمال السحر؛ لأنه تعظيم غير الله بالتقرب للشيطان، والنبيّ معصوم (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ) هم الذين (كَفَرُوا) باستعماله، (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) إغواء وإضلالًا، ويعلمون (مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) في بلد بابل من سواد الكوفة، وهما (هَارُوتَ وَمَارُوتَ)"[3].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۝ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ۝ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[4].

---

[1]) البقرة، 102.

[2]) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج2، ص408.

[3]) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، ج1، ص138.

[4]) الزمر، 68- 71.

ISSN : 2410-1818

فكل هذه الأفعال الماضية جاءت بمعنى الاستقبال (نُفِخَ- أَشْرَقَتِ- وُفِّيَتْ- سِيقَ)، وفي مجيئها بصيغة الماضي إشعار بتحقق الوقوع.

والتعبير بالماضي عن المستقبل في هذا السياق تجاوز الزمن وطواه، فدارت بنا الأحداث ووقفنا مع الواقفين، ووفيت نفوسنا ما عملت، ولا ترى في تقرير الحقائق أبلغ من هذا التعبير، ثم إن هذه الحقائق لها أهمية كبيرة في العقيدة؛ لأنها معتقدات بغيب، صور غريبة على النفوس الأرضية التي لا تؤمن إلا بما يدنو من حسها ورؤاها مما يدور في آفاقها المحدودة[1].

وفي قوله: (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ)؛ بيان بأنه العادل عن علم، وأنه الحق العدل، العليم الخبير، فلا يُظلَم عنده أحد، يجازي كل نفس بحسب ما عملت في دنياها، وهو العالم المطلع على جميع أمورهم. وفي مجيء (أَعْلَمُ) بصيغة التفضيل مبالغة.

وقال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً**﴾[2].

جاء موضع الالتفات في قوله تعالى: (فَلْيَمْدُدْ) بصيغة فعل الأمر، وهو دالٌّ على الخبر وليس الأمر الحقيقي؛ أي: مَن كان في الضلالة مَدَّه الرحمن مدّاً. وفي التعبير عن الخبر بصيغة الأمر أبلغ؛ لدلالته اللزوم. "فيحتمل أن يكون على معناه من الطلب ويكون دعاء، وكان الدعاء على صيغة الطلب لأنه الأصل، ويحتمل أن يكون خبراً في المعنى وصورته صورة الأمر، كأنه يقول: من كان ضالاً من الأمم فعادة الله له أنه يمدد له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك إلى عذابه في الآخرة"[3].

وفي قوله: (فَسَيَعْلَمُونَ)؛ جاء حرف الاستقبال (السين) مؤكدًا على تحقق حصول العلم لهم في ذلك الحين، فيظهر لهم أن ما كان فيه الكافرون من النعمة والعزة هو أقل من حال المؤمنين الفقراء؛ لأن الأعمال بالخواتيم، فخاتمة الكافرين العذاب، والمؤمنين الثواب وحسن الجزاء، وما حالهم في الدنيا إلا اختبار وامتحان.

وقال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾[4].

جاء الالتفات في هذه الآية بصيغة المضارع الذي يفيد الاستمرار والتجدّد، فالعدول عن الماضي إلى المضارع في قوله تعالى: (لَوْ يُطِيعُكُمْ) يفيد أنهم كانوا يريدون إطاعة الرسول لهم إطاعة مستمرة،

---

[1]) فن الالتفات في البلاغة العربية: قاسم فتحي سلمان، ص33- 34.

[2]) مريم، 75.

[3]) تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ج6، ص199.

[4]) الحجرات، 7.

ISSN : 2410-1818

بدليل قوله تعالى: (فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأمر)؛ فدلت على التجدد والاستمرار. أما الالتفات الآخر في قوله: (أولئك هُمُ الراشدون)؛ فكان التفاتًا من الخطاب إلى الغيبة، ويقصد به التعظيم؛ أي: هؤلاء الذين حبّب الله إليهم الإيمان، وزيّنه في قلوبهم وكرّه إليهم الكفر والفسوق العصيان، هم الذين بلغوا أرفع الدرجات وأعلى المناصب، ونالوا هذه الرتبة العظيمة (رتبة الرشاد)؛ فضلاً من الله وكرماً.

وفي الابتداء بالعلم اهتمام بما بعده، وتحذير من قول الباطل وافتراء الكذب، لأن الله عالم مطلع على عباده، يعلم أخبارهم، ويعرف أحوالهم، لا يخفى عليه شيء.

- **الالتفات في العدد:**

وفي العدد نجد أن القرآن الكريم حفل بالعديد من مواطن الالتفات في هذا المجال إفرادًا وتثنية وجمعًا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

فموضع الالتفات هو في قوله تعالى: (**أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا**)، مع أن الداعي هو موسى عليه السلام؛ لكنه عدل من المفرد إلى المثنى؛ وذلك "جواب من الله لكلام موسى جرى على طريقة حكاية المحاورات. وافتتاح الجملة بـ(قد) والفعل الماضي؛ يفيد تحقيق الحصول في المستقبل، فشبه بالمضي. وأضيفت الدعوة إلى ضمير التثنية المخاطب به موسى وهارون وإن كانت الدعوة إنما حكيت عن موسى عليه السلام وحدَه؛ لأن موسى عليه السلام دعا لما كان هارون مواطئاً له وقائلاً بمثله لأن دعوتهما واحدة. وقيل: كان موسى عليه السلام يدعو وهارون عليه السلام يؤمّن"[2].

فذكر الدعاء عن موسى وحده، والجواب عن موسى وهارون؛ وفي سياق الكلام ما يدل على أن هارون أمَّن، فنزل منزلة من دعا، لقوله تعالى: (**قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا**)، فدلّ ذلك على أن من أمَّن على دعاء فكأنما قاله.

وفي قوله: (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)؛ افتتحت الجملة بقد؛ لتفيد تحقيق الحصول في المستقبل، أعقبه حث على النهي عن اتباع طريق الذين لا يعلمون، وفي ذلك تحذير من الوقوع في الفساد باتباع من لا يعلم حقيقة وعد الله ووعيده.

---

[1]) يونس، 88- 89.

[2]) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج11، ص272.

ISSN : 2410-1818

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

ففي: (لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ) التفات من المفرد إلى الجمع؛ والمراد به الرسول ﷺ وحده، بعد قوله (قُلْ)، وهو خطاب للرسول ﷺ، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾[2]؛ ويعني الرسول ﷺ، وقيل: عنى به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ)؛ أي: أن القرآن أنزل بعلم الله واطلاعه، وأنه متلبس بما لا يعلمه إلا الله، من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا علم لهم بها. وقوله: (وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)؛ استفهام أريد به الأمر؛ أي: أسلموا.

والضمير في (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ)، "عائد على من طلب منهم المعارضة، و(لَكُمْ) الضمير جمع يشمل الرسول والمؤمنين. وجوز أن يكون خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التعظيم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ﴾[3]. قاله: مجاهد. وقيل: ضمير يستجيبوا عائد على المدعوين، ولكم خطاب للمأمورين بدعاء من استطاعوا، قاله الضحاك. أي: فإنْ لم يستجب من تدعونه إلى المعارضة فأذعنوا حينئذ، واعلموا أنه من عند الله وأنه أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه. واعلموا عند ذلك أنه لا إله إلا هو، وأن توحيده واجب، فهل أنتم مسلمون؟ أي تابعون للإسلام بعد ظهور هذه الحجة القاطعة؟ وعلى أن الخطاب للمؤمنين معنى فاعلموا أي: دوموا على العلم وازدادوا يقيناً وثبات قدمٍ أنه من عند الله"[4]. وجاء في لباب التأويل: أن هذه الآية: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ) اشتملت على أمرين وخطابين:[5] أحدهما: أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو قوله سبحانه وتعالى: قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات. والثاني: أمر وخطاب للكفار، وهو قوله تعالى: (وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ). ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ) احتمل أن يكون المراد: أن الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لعجزهم عنها. واحتمل أن يكون المراد: أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة؛ فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين: أحدهما: أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة؛ ليتبين عجزهم، فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين: (فَإِن لَّمْ

---

[1]) هود، 13- 14.

[2]) المؤمنون، 51.

[3]) القصص، 50.

[4]) تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ج5، ص209.

[5]) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، علاء الدين علي بن محمد البغدادي، ج3، ص222.

ISSN : 2410-1818

يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ) فيما دعوتموهم إليه من المعارضة وعجزوا عنه: (فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ)؛ يعني فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه، وازدادوا يقينًا وثباتًا؛ لأنهم كانوا عالمين بأنه منزل من عند الله. وقيل: الخطاب في قوله: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ) للنبي صلى الله عليه وسلم وحده، وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم.

القول الثاني: أن قوله سبحانه وتعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ) خطاب مع الكفار؛ وذلك أنه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة: (وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ)، قال الله عز وجل في هذه الآية: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ) أيها الكفار، ولم يعينوكم، (فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ)، وأنه ليس مفترى على الله، بل هو أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، (وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ): يعني الذي أنزل القرآن هو الله الذي لا إله إلا هو لا من تدعون من دونه: (فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)؟ فيه معنى الأمر، أي: أسلموا وأخلصوا لله العبادة. وإن حملنا معنى الآية على أنه خطاب مع المؤمنين، كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون الترغيب؛ أي: دوموا على ما أنتم عليه من الإسلام".

وذكر الفخر الرازي في سؤاله عن المشار إليه في هذه الآية؛ بأن: "الجواب: إن حملنا قوله: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَم) على المؤمنين فذلك ظاهر، وإن حملناه على الرسول فعنه جوابان: الأول: المراد فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين؛ لأن الرسول عليه السلام والمؤمنين كانوا يتحدونهم، وقال في موضع آخر: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ). والثاني: يجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله ﷺ"[1].

ولم يذكر الشوكاني سوى قولين من دون إسهاب إذ قال: "ويكون الضمير في) لكُمْ) لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، أو للنبي ﷺ وحده، وجمع تعظيماً وتفخيماً"[2].

وهكذا نجد أن الخطاب جمع هنا ووحد في القصص في قوله: ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[3]؛ لأن ما في هذه السورة خطاب للكفار والفعل يعود لمن استطعتم، وما في القصص خطاب للنبي ﷺ والفعل للكفار.

وبهذا فإن كان الضمير في (لكم) يشمل الرسول ﷺ وحده ففي الآية التفات؛ وإن كان يشمل الرسول والمؤمنين فلا التفات في هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [4].

---

[1]) مفاتيح الغيب (تفسير الإمام الفخر الرازي)، فخر الدين الرازي، ج17، ص157.

[2]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج2، ص679.

[3]) القصص، 50.

[4]) المنافقون، 8.

ISSN : 2410-1818

جاء الالتفات في قوله تعالى:) يَقُولُونَ) بصيغة الجمع، والمراد به واحد، وهو: عبد اللّه بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وإنما خوطب بلفظ الجمع؛ لأن الأمر إذا كان صادراً من واحد ورضي به غيره أصبح جماعة.

يقول القرطبي: والواحد يُخبر عنه بخبر الجمع إذا كان ما أخبر به مما يرضى به غيره، كما في قوله: (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ). وقيل: إنما قاله بعد خروج القوم ولم يبق منهم إلاّ الضعفاء فهم الذين سمعوه. [1]

وقال الشوكاني: "القائل لهذه المقالة هو عبد اللّه بن أبي رأس المنافقين، وعنى بالأعزّ نفسَه ومَن معه، وبالأذلّ رسول اللّه ﷺ ومن معه، ومراده بالرجوع رجوعهم من تلك الغزوة، وإنما أسند القول إلى المنافقين مع كون القائل هو فرد من أفرادهم وهو عبد اللّه بن أبي؛ لكونه رئيسهم وصاحبَ أمرهم وهم راضون بما يقوله سامعون له مطيعون"[2].

وفي قوله: (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ)؛ استدراك قصد منه تجهيلهم، ونفى العلم عنهم؛ وذلك لفرط جهلهم وغرورهم؛ لأن العزة للّه وحده، ولرسوله والمؤمنين، ولغلبة الجهل عليهم لم يعلموا ذلك، ولم يتفكروا في الدلائل المثبتة لذلك.

وقال جلَّ شأنه: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3].

موضع الالتفات في قوله تعالى: (الطِّفْلِ) إذ جاء بلفظ المفرد، وكان المتوقع أن يأتي بلفظ الجمع، فيقال: الأطفال، لكنه جاء على هذه الصيغة؛ لأنه أريد به الجنس، والدليل على أنه قصد به الجمع هو ما بعده أي: (الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا) فجاء الكلام بصيغة الجمع مما يدل على أن (الطِّفْلِ) أريد به الجمع لا المفرد.

---

[1]) الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، ج11، ص297.

[2]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج5، ص308.

[3]) النور، 31.

ISSN : 2410-1818

قال الرازي: "الطفل اسم للواحد، وجاء هنا للجمع؛ لأنه أفاد الجنس، ويبين ما بعده أنه يراد به الجمع. وذكر أبو السعود: أن "الطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف"[1]. و"الطفل: الولد ما دام ناعما، وقد يقع على الجمع، وقد يجمع على أطفال"[2].

وجاء في اللسان: أن الطفل "الصِّبا والطُّفولة، والجمع أَطفال لا يُكَسَّر على غير ذلك، وقال أَبو الهيثم: الصَّبِيُّ يُدْعى طِفْلاً حين يسقط من بطن أُمه إِلى أَن يَحتلم. وقوله عز وجل: ﴿ثم يُخْرِجُكم طِفْلاً3﴾، قال الزجاج: طِفْلاً هنا في موضع أَطفال، يَدُلُّ على ذلك ذكرُ الجماعة وكأَنَّ معناه ثم يُخْرِج كلَّ واحد منكم طِفْلاً.[4]

وقد وقع لفظ (الطفل) في القرآن الكريم أربع مرات، جاء مرة مفردًا معرّفاً بـ (ال) كما في الآية السابقة: (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ). ومرة جمعًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾[5].

وجاء نكرة في موضعين، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾[6]. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[7].

فالمراد بالطفل هنا: الصبيان الصغار الذين لم يبلغوا الحلم، وفي إطلاق المفرد على الجمع دلالة على الاختصاص؛ فلما قصد الجنس روعي الجمع؛ وهو كقولهم: (أَهْلَكَ النَّاسُ الدِّينَارُ الحُمْرُ والدِّرْهَمُ البيضُ). والدليل على إرادة الجمع قوله: (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا): أي لم يطّلعوا، والظهور على الشيء اطلاع عليه. فالأطفال الذين لا يعرفون الشهوة، ولا يدركون معاني الجنس؛ لصغرهم، لا حرج في إبداء الزينة أمامهم.

---

[1]) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي، ج6، ص171.

[2]) مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصفهاني)، مادة (طفل)، ج2، ص29.

[3]) الحج، 5.

[4]) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة (طفل)، ج11، ص401.

[5]) النور، 59.

[6]) الحج، 5.

[7]) غافر، 76.

ISSN : 2410-1818

- **الخاتمة:**

إن المتأمل لأسلوب الالتفات في القرآن الكريم يجد أن هذا التحول في السياق جاء لغرض بلاغي محكم، تتظافر فيه الألفاظ والتراكيب لخدمة المعنى وإحداث الأثر المراد في نفس المتلقي، وهو ما يؤكد تفرد النظم القرآني وسمو منزلته، وفيما يأتي أبرز النتائج التي خلص إليها البحث:

- كثرة مواضع الالتفات في آيات العلم؛ حيث نبه الالتفات إلى عظمة العلم ورفعة شأنه، وذلك باستخدام صيغ الإكرام والتكريم والعلو والرفعة، فكان له حضورٌ متميزٌ، ودورٌ بارزٌ في تصوير المعنى وبيانه.
- قلة مواضع الالتفات في آيات الجهل وذلك مقارنة بمواضع آيات العلم؛ مما يدلل على أهمية العلم ومكانته العالية. وجاء الالتفات في آيات الجهل في غالبيته دالٌّ على التهكم والسخرية وبيان عدم النفع.
- جاء الالتفات في الضمائر أكثر أنواع الالتفات ورودًا ، تلاه في الأفعال ثم الأعداد. وجاء الانتقال (من التكلم إلى الغيبة) أكثر أنواع التفات الضمائر وقوعاً في القرآن الكريم، في حين كان الانتقال (من المضارع إلى اسم الفاعل أو المفعول) أقلها وروداً إذ وقع كلٌّ منهما في موضع واحد.
- لم ينحصر الالتفات في مجال الضمائر فقط، بل جاء التحول عن الإضمار إلى الإظهار، والتحول عن تأنيث الضمير إلى تذكيره، أو عن تذكيره إلى تأنيثه، فهو يتحقق في صور المخالفة التعبيرية الآتية: (بين الغيبة والخطاب، بين الغيبة والتكلم، بين التكلم والخطاب، بين الإضمار والإظهار، بين تذكير الضمير وتأنيثه).
- ورد الالتفات في الصيغة متحققًا كلما تخالفت صيغتان (في نسق واحد) من مادة معجمية واحدة، ومن ذلك: المخالفة بين صيغ الأفعال (الماضي والمضارع والأمر)، أو بين صيغ الأسماء، أو بين صيغة من صيغ الاسم وأخرى من صيغ الفعل.

ISSN : 2410-1818

قائمة المصادر المراجع

- القرآن الكريم.
- **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**: د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ط1، 1998م.
- **الالتفات في القرآن الكريم**: صدام حسين علوان الدليمي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، د.ت.
- **البحر المديد**: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2002م..
- **البرهان في علوم القرآن**: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت - لبنان، ط1، 1957م.
- **البلاغة والأسلوبية**: د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الجيزة- مصر، ط1، 1994م.
- **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**: لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي (982هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض - السعودية، مطبعة السعادة، مصر، د. ط، د. ت.
- **تفسير البحر المحيط:** أبو حيَّان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - والشيخ علي محمد معوَّض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي- وأحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط1، 2001م.
- **تفسير التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة التونسية، تونس، د. ط، 1997م.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد الطبري (310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 2000م.
- **الجامع لأحكام القرآن**: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي (شمس الدين القرطبي) (671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض - السعودية، د. ط، 2003م.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ط، د.ت.
- **الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)**: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، مصر، د. ط، 1914م

ISSN : 2410-1818

- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (1250هـ)، حققه وخرَّج أحاديثه: د. عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه: لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء، د. ط، 1994م.
- **فن الالتفات في البلاغة العربية**: قاسم فتحي سلمان، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 1988م
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د. ط، د.ت
- **لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)**: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (الشهير بالخازن)، دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ط، 1979م..
- **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن منظور (711هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط1، د.ت
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي ابن الأثير (637هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، د. ط، 1995م
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، 1995م.
- **مفاتيح الغيب (تفسير الإمام الفخر الرازي)**: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2000م.
- **مفردات ألفاظ القرآن**: الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصفهاني)، دار القلم، دمشق - سوريا، د. ط، د.ت.
- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**: حازم القرطاجني (684هـ)، تحقيق: الحبيب بن الخوجة. تونس، د. ط، 1966م.

ISSN : 2410-1818

مجلــة الأندلس للعلوم الإنسانيـة والاجتماعيـة
مجلــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X
الترقيـم الدولـي الورقـي :ISSN:2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلــة مفهرســة فــي المواقــع الآتيــة :

العام	2021	2022	2023	2024	2025
معامل أرسيف	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068	0.5978
معامل التأثير العربي	1.60	1.73	1.25	1.55	1.59